المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والاربعين

١ مارس (اذار) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٤

اليابان ومجد الشرق

الحق للقوة وكل قول يناقض هذا القول لغوٌ ومخافة ما دامت عقول الناس واعمالهم على ما هي عليهِ الآن

قتل سربي ولي عهد النمسا وزوجتهُ فارغت النمسا وازبدت وافتأتت على السرب وطلبت منها ما يطلبهُ القوي المستبد من الضعيف المستكين وايَّدتها المانيا. فتنصلت السرب مما اتُّهمت بهِ ورضيت ان يرفع الخلاف الذي بينها وبين النمسا الى محكمين يحكمون بينها فابت النمسا ذلك وشهرت الحرب عليها

وطلبت المانيا من البلجيك ان تسمح لها باجتياز بلادها لمحاربة فرنسا فابت فدوَّختها ودكت حصونها وخرَّبت مدنها

منذ احدى وعشرين سنة وقعت الحرب بين الصين واليابان وانتهت بفوز اليابان واستيلائها على شبه جزيرة ليوتنج فنهضت المانيا واعترضت عليها وحملت روسيا وفرنسا على مشاركتها في الاعتراض فاضطرت اليابان ان تنكص على عقبها وترضى من الغنيمة بالاياب لكنها حفظت من ذلك درساً لا تنساهُ وهو ان الحق للقوة وبذلت جهدها في الاستعداد براً وبحراً فكانت لروسيا الصاع صاعين. فعظم شأنها في عيون الاوربيين حتى صار غوانيهم يتباهين بتقليد اليابانيات في ملابسهنَّ . ولم تكد الحرب الاوربيَّة تنشب حتى جاء دورها للاخذ بالثار من المانيا . فان المانيا كانت قد وضعت يدها على ميناء كياوشاو وما يطيف بهِ من البلاد الصينية بحجة ان الصينيين قتلوا اثنين من المرسلين الالمانيين ويجب تأديبهم وتأديب حكومتهم . ثم جعلت تحصن هذا الميناء والآكام التي حولهُ حتى جعلتهُ امنع من عقاب الجو

قاصدة ان تجعلهُ مفتاحاً لسلطة شرقية واسعة فتلقي بذار الشقاق في مملكة الصين حتى تتداعى اركانها فتختطف منها ما تستطيع اختطافهُ قبلما يسبقها غيرها اليهِ . ومَن حضر السوق باع واشترى . ولكن اسمع ما ذا جرى وكيف يستعزُّ القوي بقوتهِ فان اليابان قامت في بداءة هذه الحرب وطلبت من المانيا ان تخرج من كياوشاو بقضها وقضيضها وصاغت صورة هذا الطلب كما لو كان امبراطور المانيا نصَّهُ بنفسهِ لدولة من اصغر الدول فانها قالت فيهِ ما ترجمتهُ :

« اننا نرى انهُ من اهم ما يُطلَب منا واوجبهِ في الاحوال الحاضرة ان نزيل كل سبب يدعو الى تكدير كاس السلام في الشرق الاقصى وان نحمي المصالح العمومية التي يرمي اليها الاتفاق المعقود بين اليابان وبريطانيا العظمى

« وترى الحكومة اليابانية ان حفظ السلام الدائم في شرق اسيا الذي هو الغرض المقصود من ذلك الاتفاق يضطرها ان تشير على الحكومة الالمانية بعمل ما يأتي

« اولاً ان تخرج حالاً سفنها الحربيَّة والمسلحة مهما كان نوعها من كل البحار اليابانية والصينيَّة وان تنزع الاسلحة من كل سفنها التي لا تستطيع اخراجها

« ثانياً ان تسلِّم لمأموري اليابان كل بلاد كياوشاو قبل ١٦ سبتمبر من غير شرط او طلب تعويض على ان تعاد تلك البلاد اخيراً الى الصين

« واذا لم يصل الى الحكومة اليابانية جواب من الحكومة الالمانية حتى ظهر الثالث والعشرين من شهر اغسطس تقول فيهِ انها قبلت مشورة اليابان من غير قيد ولا شرط فاليابان تعمل ما تراهُ لازماً في الاحوال الحاضرة »

فاستخفَّت المانيا بطلب اليابان ولم تجبها اليهِ سلماً وخيلاء لان بوارج اليابان من اقوى البوارج ومدافعها من اكبر المدافع وقوادها من امهر القوَّاد بفنون الحرب وجنودها من اشجع الجنود في مواقع الكر والضرب فلا اسهل عليها من ان تنال مطالبها بالرغم عن انف المانيا بالقوة ان لم تنلها برضاها . وارسل امبراطور المانيا رسالة برقية الى نائبهِ في كياوشاو يأمرهُ ان يشدَّد و يتصلَّب حتى تذكر القرون المقبلة ثباتهُ بالاعجاب والاطناب . ولكنهُ آب بالخيبة لان حصونهُ المنيعة لم تقوَ على قنابل اليابان وبسالة رجالهِ لم تفق بسالة اليابانيين

هذا عمل واحد من اعمال ثلاثة قامت بها اليابان في هذه الحرب ولعلهُ اقلها شأناً والعملان الآخران اولها حماية سفن الحلفاء التجارية في الاوقيانوس الباسيفيكي والشرق

الاقصى من السفن الالمانية الحربية وحماية مستعمرات الحلفاء كلها في تلك البحار الواسعة . فان السفن الحربية الانكليزية والفرنسوية شُغلت في البحر الشمالي والاوقيانوس الاتلنتيكي والبحر المتوسط . والسفن الروسية لم تستطع الخروج من البلطيق والبحر الاسود فلم تستطع هذه الدول الثلاث ان ترسل بوارجها لحماية متاجرها ومستعمراتها في الشرق الاقصى والاوقيانوس الباسيفيكي فاناطت ذلك باليابان فقامت به خير قيام ولولاها لاستطاع الالمان ان يقضوا على تجارة الحلفاء في تلك البحار كما قضى الحلفاء على تجارتهم فلليابان فضل كبير على حليفاتها من هذا القبيل

ويضاف الى ذلك ان السفن التجارية الانكليزية كانت تنقل الجنود من الهند واستراليا ولا تزال كما تنقل المتاجر والغالب انها كانت تفعل ذلك بحماية البوارج اليابانية الى ان قطع دابر البوارج الالمانية من بحار المشرق وهذا مما يزيد فضل البوارج اليابانية ويثبت ان اليابان خدمت حلفاءها في هذه الحرب افضل خدمة

والعمل الثاني لتقديم الذخيرة لروسيا فان الحلفاء دخلوا هذه الحرب غير مستعدين لها . ولو امهلتهم المانيا ليستعدوا لما خطر ببالهم ما هو الاستعداد المطلوب من حيث المدافع والقنابل والغازات الخانقة والاسلاك الشائكة لا في نوعها ولا في مقدارها فانهُ لم يخطر ببالهم ان المدافع التي يزنة المدفع منها خمسين طنًّا او ستين يمكن ان تنقل الى ميادين القتال لتدك بها حصون السمنت والحديد . ولا خطر لهم ان يحشوا مدافعهم بقنابل تفجَّر فتدك الجبال وتحفر في الارض شبه البراكين . ولا قام في تفوسهم ان يسمُّوا الهواء بالغازات ويميتوا خصومهم اخناقًا بعد ان يجرعوهم غصص المنون . ولم يخطر لهم ان يطلوا كل جيش من جيوشهم بالوف من المدافع ومئات الالوف من القنابل ولا ان يحصنوا وراءه غابات من الاسلاك الشائكة كما فعل الالمان في كل ذلك فادهشوا امم الارض

فهذه الاسلحة في نوعها ومقدارها لم تخطر ببال الحلفاء ولذلك كانت المانيا واثقة بالنصر وخصومها عنها غافلون . فلم يمضِ على الحرب ايام كثيرة حتى نفد ما عندهم من الذخيرة او كاد فهبَّ الانكليز والفرنسويون الى تدارك ما فات وحوَّلوا مصانعهم كلها الى دور صنعة لعمل الذخيرة وهي كثيرة وصناعها ماهرون ولكن روسيا ليست كذلك في المصانع والصنَّاع وجيشها عرمرم وكان بحارب الالمان والنمسويين في اماكن كثيرة وميادين طويلة فاضطرت ان ترتد على اعقابها بعد ان كان الفوز لها وما ذلك الاَّ لنفاد ذخيرتها . وقد كان الحلفاء يمنون انفسهم بايصال الذخيرة اليها من اوربا بطريق الدردنيل فسبقتهم المانيا الى محالفة تركيا

واوقعت الحرب بينها وبين روسيا . وللحال نهضت اليابان بعاملها الكثيرة وجعلت تسبك المدافع وتصنع القنابل وتبعث بها من اقصى المشرق الى غربي روسيا وهذا سر ثبات الروس وعودهم الى اتخاذ خطة الهجوم بعد الانخذال

ونحن الشرقيين لا يسعنا الاَّ المباهاة بما فعلتهُ الامَّة اليابانية لانها اثبتت للاوربيين ان الشرقي لا ينقص عن الغربي في شيء اذا اتيح لهُ كسر قيود التقليد فان اليابانيين — وهم امَّة قديمة ذات تاريخ مجيد بين الامم الشرقية وقد اشتهرت باتقان الزراعة والصناعة والعلوم والفنون — لم يروا حطة من شأنهم أن يطرحوا تقاليدهم ويجاروا الاوربيين ويتعلموا منهم حتى يباروهم . ولا بدَّ لمرء ان يتجرَّد من كل ما يعيقهُ اذا اراد ان يباري المحاضير

وقد يظن لاول وهلة ان اليابان اشترت كل بوارجها ومدافعها وسائر اسلحتها من اوربا وهذا غير الواقع فهم قد اشترت كل اسلحتها اولاً وسقنها الحربية من اوربا ثم بعثت بابنائها الى معامل اوربا واميركا فتعلموا فيها كل ما يلزم لبناء البوارج وعمل الاسلحة وعادوا الى بلادهم وانشأوا المعامل واستخرجوا الحديد والفحم من مناجمهم وجعلوا يباروت الاوربيين وكادوا يستقلون عنهم

دخلنا معمل ارمسترنج ببلاد الانكليز منذ بضع سنوات وجعل مديرهُ يرينا كيفية سبك المدافع التي زنة المدفع منها خمسون طنًّا فاكثر وصفائح الفولاذ التي تستعمل لتدريع البوارج وكانت تلك المدافع وهذه الصفائح ترفع بروافع بخارية وتنقل من جهة الى اخرى في ذلك المعمل الوسيع . ثم وقف امام رافعة فيها وقال لم يسبقنا الاَّ اليابانيون فان روافعهم ترفع الاثقال بالكهربائية لا بالبخار تعلَّم صنَّاعهم في هذا المعمل ثم عادوا الى بلادهم وبنوا مثلهُ وجروا فيهِ على احدث المخترعات واكثرها اتقانًا فقلنا في انفسنا . حقًّا لقد اعادت اليابان مجد المشرق بالعلم والقوة وكسر قيود التقليد

وما اليابانيون بافضل طينة من غيرهم من امم المشرق ولكن قضت احوال الزمان ان يرضخ غيرهم لقوانين وسنن وتقاليد تضعف الهمم وتمنع نصف الامة ممَّا يلزم لتقوية الاجسام والعقول . فعسى ما جرى هذا العام والذي قبلهُ ان يكون عظة لنا حتى نزيل كل ما يحول دون تشبهنا بتلك الامَّة النشيطة